مقدمة

كان السلطان سليمان القانوني يصف نفسه بالتعبيرات الموجودة في الكتابة السابقة؛ بفضل سلسلة انتصاراته التي تمت حتى العام الثامن عشر من سلطنته، وفي الواقع فإن من يلقي نظرة خاطفة على خريطة العالم في القرن السادس عشر الميلادي، يرى دولة عظيمة منتشرة في ثلاث قارات تقع في جغرافية مركز العالم.

كانت هذه الدولة هي الدولة العثمانية التي تأسَّست كدولة تركمانية صغيرة بجانب القسطنطينية / إسطنبول، العاصمة المسيحية الأولى للإمبراطورية الرومانية الشرقية القديمة، ووسّعت أراضيها في فترة وجيزة وهي تخطو إلى أوروبا، وقضت على الإمبراطورية البيزنطية وجعلت مركزها عاصمة لها.

وفي أعقاب تشتُّت شمل الدولة السلجوقية وتمزقها بعد استيلاء المغول / الإيلخانيين مباشرة على الأناضول في القرن الثالث عشر الميلادي. صنع العثمانيون مكانة لهم بين الأسر التركمانية الحاكمة التي ادَّعت أنها تملك ميراثها، وأسسوا دولة باسم جدهم عثمان بَكْ (*Bey*).

وفي خلال فترة وجيزة، كان العثمانيون الذين سيطروا على شبه جزيرة البلقان بسياسة الغزو التي اتبعوها تجاه العالم المسيحي قد أحرزوا في الوقت نفسه تقدمًا سياسيًا حيث حققوا الوحدة تحت رايتهم في الأناضول.

وقد ازدادت سرعة تقدمهم عقب فتح القسطنطينية / إسطنبول. حيث باتت الدولة العثمانية تتمتع بقوة سياسية مهمة في العالم الإسلامي.

وتبنّى العثمانيون حماية الإسلام كمهمة أساسية بخدمة الأماكن المقدسة (الحرمين الشريفين) خصوصًا بعد القضاء على السلطنة المملوكية.

وأبعدوا عن هذه المنطقة البرتغاليين الذين استحوذوا على الطريق التجاري التاريخي باعتبارهم قوة بحرية مهمة آنذاك، وابتدعوا نوعًا من الصراع الصليبي الجديد ضد المسلمين. وبدؤوا يهددون حتى الحرمين الشريفين؛ أما في الشمال الإفريقي فقد منع العثمانيون القمع والضغط اللذين يمارسهما الإسبان والبرتغال بالكامل؛ وكذلك حاربوا القوى الخارجة الضالّة في العالم الإسلامي واستهدفوا حماية العالم السني.

وجعل كل هذا-بمفاهيم الجهاد / الغزو- الدولة العثمانية تكتسب موقفًا مختلفًا للغاية.

وقد تمكن العثمانيون في الفترات المشار إليها من الوصول إلى موقع القوة الأساسية الموجِّهة في سياسة العالم.

وحاولوا الحفاظ على موقعهم المتميز هذا حتى القرن التاسع عشر الميلادي بالرغم من بعض الصدمات التي واجهوها عبر الزمان، لاسيما وأنها أصبحت تقريبًا القوة السياسية الكبيرة الوحيدة التي تمثل كل العالم الإسلامي طوال هذه القرون فى مواجهة الغرب.

إنه السلطان سليمان المعروف جيدًا في الشرق وأيضًا في الغرب، أحد أهم السلاطين الأقوياء البارزين في تاريخ هذه الدولة وفي علو شأنها وارتقائها، فبينما يُعرف في المصادر الغربية بـ"السلطان المعظم"، فإنه كان يُذكر في الفترات التالية بـ"القانوني" حيث كان-بالنسبة لرعاياه- ناشرًا وحاميًا للقوانين والعدالة.

والسلطان سليمان هو السلطان العثماني العاشر الذي ظل على العرش أطول مدة بسلطنته التي استمرت ستة وأربعين عامًا (١٥٢٠ - ١٥٦٦م)، وقد وُصفت فترته من قِبل المؤرخين العثمانيين بأنها: "أزهى عصر"، و"العصر الذهبي".

فقد وسّعت الدولة العثمانية أراضيها في فترة سلطنته وخصوصًا نحو الغرب ووسط أوروبا. وعلاوة علي ذلك تم للمرة الأولى اتباع سياسة تسمي

"ما وراء البحار" حيث أحرز العثمانيون تقدمًا سواءً إلى شمال وغرب إفريقيا أو إلى سهوب شمال روسيا حتي وصلوا إلى المحيط الهندي.

ويُعتبر السلطان سليمان الجد المؤسِّس لمهمة سياسية جديدة ظلت ميراثًا لورثته من بعده وأصبح ممثلا لعصر يُذكر دائما بالشوق والحسرة.

وقد تناول هذا الكتاب الذي بين أيديكم فترة حكم السلطان سليمان التي استمرت مدة طويلة وعالمه الشخصي ورجاله من حوله وبيئته... وكيف أنه كان صاحب توجه سياسي، كما تم تناول ودراسة سلسلة الأحداث التي عاشها هو بنفسه نقلا عن المصادر المكتوبة ووثائق الأرشيف الخاصة بهذه الفترة مباشرة. ولما لم تدرس سيرته الذاتية إلى اليوم كوحدة متكاملة بشكل مفصل سنعرض في هذا الكتاب لحياته، وأحداث عصره بأسلوب ميسرٍ وليس بلغة علمية رسمية. بيد أنه يجب أن أوضح أيضًا أن هذه المعلومات قد تم استخراجها من البداية من تواريخ الوقائع العثمانية ووثائق الأرشيف مباشرة.

ويجب أن أفصح كذلك أن هذا الكتاب هو الثمرة الأولى لدراسةٍ ظللت أعمل فيها منذ سنوات طويلة. وإن شغف القارئ وتطلعه إلى الوصول إلى المعلومات الصحيحة بشأن السلطان سليمان كان هو أهم باعث في كتابة هذا الكتاب، وسوف يلاحظ بوضوح عند قراءة هذا الكتاب أن السلطان سليمان قضى عمره في العمليات العسكرية والحروب.

وإيمانًا بأن هذا العمل -موضوع البحث- الذي سيُنشر للمرة الأولى باللغة العربية سوف يصل إلى هدفه فإني أدين بالشكر للمسؤولين القائمين على طبع الكتاب.

أ. د. فَرِيدُون أَمَجان

إسطنبول - ٢٠١٣م